علامات الزهد في الدنيا واحتقارها وقلة الرغبة فيها فإن من عظمت الدنيا عنده أحب المدح وكره الذم
فربما حمله ذلك على ترك كثير من الحق خشية الذم وعلى فعل كثير من الباطل رجاء المدح فمن استوى عنده حامده وذامه في الحق دل على
سقوط منزلة المخلوقين من قلبه وامتلائه من محبة الحق وما فيه رضا مولاه كما قال ابن مسعود رضي الله عنه اليقين أن لا ترضي الناس بسخط
الله وقد مدح الله الذين يجاهدون في سبيله ولا يخافون لومة لائم وقد روي عن السلف عبارات أخر في تفسير الزهد في الدنيا وكلها
ترجع إلى ما تقدم كقول الحسن الزاهد الذي إذا رأى أحدا قال هو أفضل مني وهذا يرجع إلى أن الزاهد حقيقة هو الزاهد في مدح نفسه و
تعظيمها ولهذا يقال الزهد في الرياسة أشد منه في الذهب والفضة فمن أخرج من قلبه حب الرياسة في الدنيا والترفع على الناس فهو
الزاهد حقا وهذا هو الذي يستوي عنده حامده وذامه في الحق وكقول وهيب بن الورد رحمه الله الزهد في الدنيا أن لا تأسى على ما
فات منها ولا تفرح بما أتاك منها قال ابن السماك رحمه الله هذا هو الزاهد المبرز في زهده وهذا يرجع إلى أنه يستوي عند العبد إدبارها و
إقبالها وزيادتها ونقصها وهو مثل استواء حال المصيبة وعدمها كما سبق وقيل لبعضهم أظنه الإمام أحمد عن من معه مال هل يكون
زاهدا قال إن كان لا يفرح بزيادته ولا يحزن بنقصه أو كما قال وسئل الزهري عن الزهد فقال أن لا يغلب الحرام صبره ولم يشغل الحلال
شكره وهذا قريب مما قبله فإن معناه أن الزاهد في الدنيا إذا قدر منها على حرام صبر عنه فلم يأخذه وإذا حصل له منها حلال لم
يشغله عن الشكر بل قام بشكر الله عليه وقال أحمد بن أبي الحواري رحمه الله قلت لسفيان بن عيينة من الزاهد في الدنيا قال من إذا أنعم
عليه شكر وإذا ابتلي صبر قلت يا أبا محمد قد أنعم الله عليه فشكر وابتلي فصبر وحبس النعمة كيف يكون زاهدا فقال اسكت من لم تمنعه
النعماء من الشكر ولا البلوى من الصبر فذلك الزاهد وقال ربيعة رأس الزهادة جمع الأشياء بحقها ووضعها في حقها وقال
سفيان الثوري رحمه الله الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباء قال وكان من دعاء السلف اللهم زهدنا في الدنيا
ووسع علينا منها ولا تزوها عنا فترغبنا فيها وقال الإمام أحمد الزهد في الدنيا قصر الأمل وقال مرة قصر الأمل والإياس مما
في أيدي الناس ووجه هذا أن قصر الأمل يوجب محبة لقاء الله بالخروج من الدنيا وطول الأمل يقتضي محبة البقاء فيها فمن قصر أمله
كره البقاء في الدنيا وهذا نهاية الزهد فيها والإعراض عنها [illegible] ولهذا عيرهم الله بقوله تعالى قل إن كانت لكم الدار الآخرة خالصة
من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين إلى قوله ولتجدنهم أحرص الناس على حياة الآية وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن الضحاك
بن مزاحم قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله من أزهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر
ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه في الموتى وهذا مرسل وقد قسم كثير من السلف الزهد أقساما فمنهم من قال أفضل
الزهد الزهد في الشرك وفي عبادة ما عبد من دون الله ثم الزهد في الحرام كله من المعاصي ثم الزهد في الحلال وهذا قول [illegible] الزهد
فالقسمان الأولان من هذا الزهد كلاهما واجب والثالث ليس بواجب فإن أعظم الواجبات الزهد في الشرك ثم في المعاصي
كلها وكان بكر المزني يدعو لإخوانه زهدنا الله وإياكم زهد من أمكنه الحرام والذنوب في الخلوات فعلم أن الله يراه
فتركه وقال ابن المبارك قال سلام بن أبي مطيع الزهد على ثلاثة وجوه واحد أن يخلص العمل لله عز وجل والقول ولا يراد
بشيء منه الدنيا والثاني ترك ما لا يصلح والعمل بما يصلح والثالث الحلال أن يزهد فيه وهو تطوع وهو أدناها وهذا قريب
مما قبله إلا أنه جعل الدرجة الأولى من الزهد الزهد في الرياء المنافي للإخلاص في القول والعمل وهو الشرك الأصغر والحامل
عليه محبة المدح في الدنيا والتقدم عند أهلها وهو من نوع محبة العلو فيها والرياسة وقال إبراهيم بن أدهم الزهد ثلاثة أصناف
فزهد فرض وزهد فضل وزهد سلامة فالزهد الفرض الزهد في الحرام والزهد الفضل الزهد في الحلال والزهد في
السلامة الزهد في الشبهات وقد اختلف الناس هل يستحق اسم الزهد من زهد في الحرام خاصة ولم يزهد في فضول المباحات
أم لا على قولين أحدهما أنه يستحق اسم الزهد بذلك وقد سبق ذلك عن الزهري وابن عيينة وغيرهما والثاني لا يستحق اسم
الزهد بدون الزهد في فضول المباح وهو قول طائفة من أهل العارفين وغيرهم حتى قال بعضهم لا زهد اليوم لفقد
المباح المحض وهو قول يوسف بن أسباط وغيره وفي ذلك نظر وكان يونس بن عبيد يقول ما قدر الدنيا حتى يمدح من زهد فيها
وقال أبو سليمان الداراني اختلفوا علينا بالزهد في العراق فمنهم من قال الزهد في ترك لقاء الناس ومنهم من قال في
ترك الشهوات

قال ترك الشهوات ومنهم من قال ترك الشبع وكلامهم قريب بعضه من بعض قال وأنا أذهب إلى أن الزهد في
ترك ما يشغلك عن ذكر الله عز وجل وهذا الذي قاله أبو سليمان حسن وهو يجمع جميع معاني الزهد وأقسامه وأنواعه
واعلم أن الذم الوارد في الكتاب والسنة للدنيا ليس هو راجع إلى زمانها الذي هو الليل والنهار المتعاقبان إلى يوم
القيامة فإن الله تعالى جعلهما خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ويروى عن عيسى عليه السلام أنه قال إن هذا الليل
والنهار خزانتان فانظروا ما تضعون فيهما وكان يقول عليه الصلاة والسلام اعملوا الليل لما خلق له والنهار لما
خلق له وقال مجاهد ما من يوم إلا يقول ابن آدم قد دخلت عليك اليوم ولن أرجع إليك بعد اليوم فانظر ماذا تعمل
في فإذا انقضى طوي ثم يختم عليه فلا يفك حتى يكون الله هو الذي يفضه يوم القيامة والليلة تقول كذلك وقد
أنشد بعض السلف إنما الدنيا إلى الجنة والنار طريق والليالي متجر الإنسان والأيام سوق وليس
الذم راجعا إلى مكان الدنيا الذي هو الأرض التي جعلها الله لبني آدم مهادا وسكنا ولا إلى ما أودعه الله فيها من الجبال
والبحار والأنهار والمعادن ولا إلى ما أنبته فيها من الشجر والزرع ولا إلى ما بث فيها من الحيوانات وغير ذلك فإن ذلك من نعمة
الله على عباده بما لهم فيها من المنافع ولهم به من الاعتبار والاستدلال على وحدانية صانعه وقدرته وعظمته وإنما الذم
راجع إلى أفعال بني آدم الواقعة في الدنيا لأن غالبها واقع على غير الوجه الذي تحمد عاقبته بل يقع على ما تضر عاقبته
أو لا تنفع كما قال عز وجل اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب
الكفار نباته الآية وانقسم بنو آدم في الدنيا إلى قسمين أحدهما من أنكر أن يكون للعباد دار بعد الدنيا و [illegible]
اطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون وهؤلاء همهم التمتع بالدنيا واغتنام
لذاتها قبل الموت كما قال تعالى والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ومن هؤلاء من كان يأمر
بالزهد في الدنيا لأنه يرى أن الاستكثار منها يوجب الهم والغم ويقول كلما كثر التعلق بها تألمت النفس بمفارقتها
عند الموت فكان هذا غاية زهده في الدنيا والقسم الثاني من أقر بدار بعد الموت للثواب والعقاب وهم
المنتسبون إلى شرائع المرسلين وهم منقسمون إلى ثلاثة أقسام ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات بإذن الله
فالظالم لنفسه هم الأكثرون منهم وأكثرهم واقف مع زهرة الدنيا وزينتها فأخذها من غير وجهها واستعملها في غير
وجهها وصارت الدنيا أكبر همه بها يرضى ولها يوالي وعليها يعادي وهؤلاء هم أهل اللهو واللعب والزينة و
التفاخر والتكاثر وكلهم لم يعرف المقصود من الدنيا ولا أنها منزل سفر يتزود منها لما بعدها من دار الإقامة وإن كان أحدهم يؤمن
بذلك إيمانا مجملا فهو لا يعرفه مفصلا ولا ذاق ما ذاقه أهل المعرفة بالله في الدنيا مما هو أنموذج مما ادخر لهم في الآخرة والمقتصد
منهم أخذ الدنيا من وجوهها المباحة وأدى واجباتها وأمسك لنفسه الزائد وهؤلاء اختلف في دخولهم في اسم الزهاد
في الدنيا كما سبق ذكره ولا عقاب عليهم في ذلك إلا أنه ينقص من درجاتهم في الآخرة بقدر توسعهم في الدنيا قال ابن عمر لا يصيب عبد
من الدنيا شيئا إلا نقص من درجاته عند الله وإن كان عليه كريما خرجه ابن أبي الدنيا بإسناد جيد وروي مرفوعا من حديث عائشة
رضي الله عنها بإسناد فيه نظر وروى الإمام أحمد في كتاب الزهد بإسناده أن رجلا دخل على معاوية فكساه فخرج فمر على أبي
مسعود الأنصاري ورجل آخر من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فقال أحدهما خذها من حسناتك وقال الآخر من طيباتك
وبإسناده عن عمر رضي الله عنه قال لولا أن تنقص حسناتي لخالطتكم في لين عيشكم ولكني سمعت الله عير قوما فقال أذهبتم طيباتكم
في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وقال الفضيل بن عياض إن شئت استقل من الدنيا وإن شئت استكثر منها فإنما تأخذ من كيسك
ويشهد لهذا أن الله حرم على عباده أشياء من فضول شهوات الدنيا وزينتها وبهجتها حيث لم يكونوا محتاجين إليه وادخره
لهم عنده في الآخرة وقد وقعت الإشارة إلى هذا بقوله عز وجل ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم